# محاضرة (03): معرفيّة علوم الإعلام والإتصال (الجزء 1)

**مقدمة:** إن الأبعاد النظرّية والتاريخية والمؤسسية لعلوم الإعلام والاتصال، لم تشغل سوى اهتمام الدارسين والباحثين من داخل هذا المجال، خلافا لما يحدث في مستوى العلوم والتخصصات الأخرى، وذلك لإعتبارات موضوعية، يلخصها **بور** (Robert Boure) **أوّلاً:** في حداثة عهد هذا المجال الذي لم تتمكن فيه الأعمال التأصيلية والدراسات النظرية والابستمولوجية القليلة من رسم حدود نظرّية واضحة له، فهو كما يقول **دانيال بونيو** (Daniel Bougnoux) عن الاتصال، إنه حقيقة موجودة في كل العلوم، ولكنه كعلم، حقيقة مفقودة. ثم إن انفجار المناهج والمقاربات داخل هذا الحقل، والنازحة من تخصصات متأصلة الجذور في التاريخ، يجعل مهمّة المشتغلين بتاريخ علوم الإعلام عملية مشوشة ومقعدة في ذاتها.

## 1/ازدواجية التركيب:

يواجه الباحثون في علوم الاعلام والاتصال العديد من الصعوبات في شرح ما ينطبق عليه مجالهم البحثي وتعود الاشكالية الأساسية في ذلك إلى ازدواجية التركيب والمُتمثلة في "الإعلام" و"الاتصال" حيث أن كل من كلمة "إعلام" وكلمة "اتصال" تحيل إلى مجالين متصلين منفصلين في الوقت نفسه:

- **مجال الميديا والصناعات الإعلامية**
- **مجال السلّوك والتفاعلات الاجتماعية**

## 1-1/ مجال الميديا والصناعات الإعلامية

وهو المجال المعروف باسم "الإعلام_Information"، فقد قاربته تيّارات فكرية ونظرية مختلفة من أبرزها نجد:

**التيار الوظيفي **Fonctionalism الذي اعتنى بدراسة وظائف الميديا الجماهيرية وتأثيرها في المجتمع. يسلّم هذا التيار بحقيقة أنّ الأفكار لا تنتشر في المجتمع ولا تتحول إلى قوة فاعلة من دون وسائل الإعلام، كما لا يجيز الاعتقاد بالتأثير المطلق الذي تحدثه وسائل الإعلام. من رواد هذا التيار: ولبر شرام (Wilbur Shramm) وبول لازارسفيلد (Paul Lazarsfeld) وهارولد لازويل (Harold Lasswell) وبرلسون (Berelson)، على أنّ لازويل في نموذجه الاتصالي، المعروف بنموذج الأسئلة الخمسة، بدا مغاليًا لدور الإعلام في إحداث التأثير وكأنه يسلّم بمبدأ التأثير المطلق للوسائل الإعلامية. https://www.youtube.com/watch?v=X1QVJvq161M

**من جهة ثانية، **نجد التيار النقدي Critical theory** ويمثله كل من هوركايمر (Max Horkheirmer) وأدورنو (Theodor W.Adorno) وماركوز (Herbert Marcuse) المنتمين إلى مدرسة فرانكفورت. لقد عمل التيّار على فضح

الانحراف الحاصل على حد تعبير عن في وظائف وسائل الإعلام، والمتمثل في دعمها لمراكز الهيمنة في المجتمع، وتشويهها للأعمال الثقافية الرّاقية. https://www.youtube.com/watch?v=3gZ6Vj2rlWg

**هناك أيضا **التيّار اللّساني البنيوي Linguistic Structuralism** بوصفه منهجا اعتنى باستخراج المستويات التحليلية للمضامين الإعلامية، وقد شكلت أعمال رولان بارث (Roland Barthes) وكريستيان ميتز (Christian Metz) في هذا الاتجاه مدخلا أساسيا لوضع نحوّية جديدة للصورة الميدياتيكية. كما شكلت أعمال ساندرس بيرس (Charles Sanders Peirce) مؤسس التيار البراغماتي (Pragmatique) فتحا مهما في إدراك ما يسميه بسيرورة المعنى ضمن نطاق سيميائي يستوعب كل الظواهر.

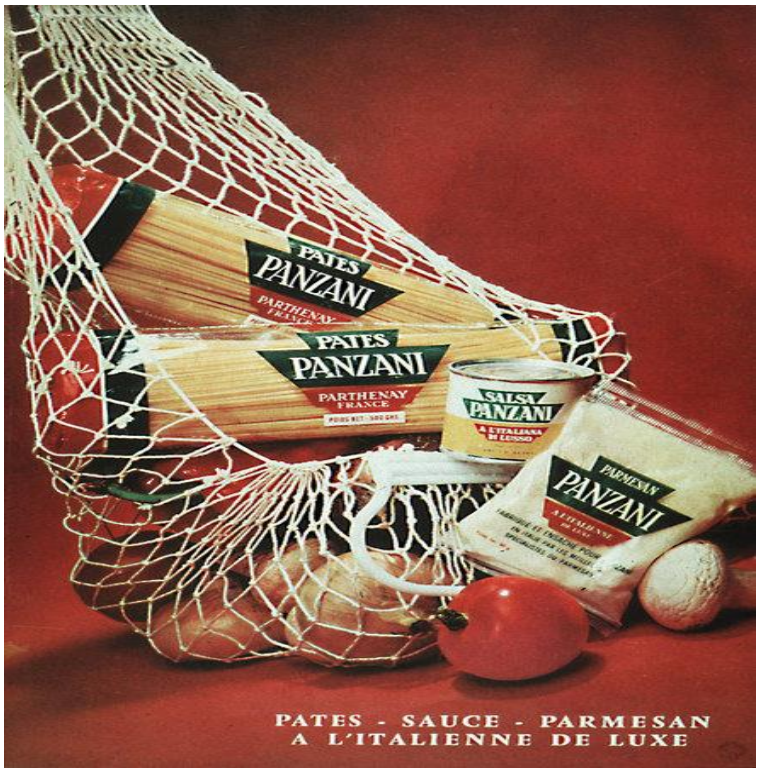


https://www.youtube.com/watch?v=HgouEfMmo7g

https://www.youtube.com/watch?v=nqO_m9M6Gu8

https://www.youtube.com/watch?v=ykt8XITtxHo

من وجهة أخرى، نجد **التيار الفلسفي الحديث** الذي يمثله جون بودريار (Jean Boudrillard) وجيل دولوز (Gilles Deuleuze)، وجاك دريدا (Derrida) وميشال فوكو (Michel Foucault) وغيرهم من فلاسفة ما بعد الحداثة الذين اهتموا بدراسة مسألة صناعة الواقع التي تحدثها وسائل الإعلام. لقد عمل بودريار بالخصوص على تحليل الواقع

الميدياتيكي، من خلال تجريده من الأقنعة البلاغية السائدة في لعبة الإعلام، ليعيد النظر في بنائه وتعريفه من جديد. كما اشتغل دريدا رائد فلسفة التفكيك على خلخلة مراكز النفوذ والهيمنة الإعلامية والعلمية والايديولوجية ودعا لتشييد بناء جديد ضد "البناء". https://www.youtube.com/watch?v=Ma07_asPARk

## 1-2/مجال السلوك والتفاعلات الاجتماعية:

والمعروف بمجال الاتصال الذي بات يستوعب كل شيء في الوجود مثلما تبيّن شرحه في **أعمال مجموعة بالو آلتو** (Palo Alto) ضمن مقاربتهم **النسقية** "**Systemic**" لأنماط السلوك البشري بوصفه سلوكاً اتصاليا. في سياق هذا الفكر برزت قراءة براغماتية للاتصال، لَمَعَ في تقديمها كل من واتزلافيك (Watzlawick) وباتيسون (Bateson) وهالي ( Jay Haley) ودون جاكسون (Don Jackson) الذين جعلوا من مدرستهم مدرسة بالو آلتو مرجعا ثريا في نظريات الاتصال. https://www.youtube.com/watch?v=xOnlfn0c-tM

ونجد كذلك **التيار التفاعلي** الذي يمثله غوفمان (Erving Goffman) وكيري (Louis Quere) وهو التيار الذي يعتبر الفعل الاجتماعي هو بناء قائم على التداوت باستخدام اللّغة. ونجد بذور هذا التفكير في فلسفة كانط النقدية وقد استثمره لاحقا جيل من الفلاسفة مثل: فيخت (Fichte) وهيجل (Hegel) وكارل بوبر (Karl Popper) وهابرماس (Habermas) بالخصوص في مشروع بنائه بنظرية الفاعلية التواصلية. لقد عمل هابرماس على تطوير نظريّة المجال العمومي التي تمثل في فلسفته حقل جاذبية بوصفها رافداً أساسياً من روافد الفاعليّة التواصليّة. https://www.youtube.com/watch?v=xM158O8w6mI

# محاضرة (03): معرفيّة علوم الإعلام والإتصال (الجزء 2)

**1/تعريف الاتصال Communication**: في العربية: يعود الاتصال كإسم إلى الجذر، الذي هو الفعل "اتصل" (يتصل) الشيء اتصالا بالشيء أي صار موصولا به، لامسه ملامسة تامة، التأم به....ويقال اتصلت الأشياء أي تتابعت، واتصل به الخبر أي علمه، واتصل فلان بفلان أي خابره هاتفيا.

- في الانجليزية: مصدر Communication هو Communicate، وتعني يبلغ، يفشي، ينقل ( To communicate news)، ويتصل به بالتليفون، وتعني أيضا: معلومات مبلغة، رسالة شفوية أو خطية، تبادل الأراء والمعلومات عن طريق الكلام أو الكتابة، أو الاشارات.
- في الفرنسية: فعل الاتصال يعني عقد صلة مع الآخر، فالاتصال يحدث بين شخصين، والصلة أو العلاقة الناشئة تكون ديناميكية عندما تدخل في إطار وظيفي.

- _في معجم دالوز (DALLOZ): للمصطلحات في الإعلام والاتصال، تتوسع الدلالات: فالاتصال فعل يرتكز بالنسبة إلى الأفراد على تبادل الرسائل وجها لوجه أو عن بعد بواسطة أو بدون واسطة "الميديا"، ومهما يكن شكل الاتصال أو هدفه، فإنه يعني الفعل والنتيجة.
- من وجهة نظر سوسيولوجية: يتطور الاتصال تبعا لإزدهار وسائل الاتصال الجديدة، على امتداد القرن الماضي (العشرين): الراديو، التلفزيون والشبكات المتعددة الوسائط، تعددت أسباب الاتصال على ايقاع الوسائل التي صنعته: بهدف الإعلام، التسلية، التثقيف والتعليم وأيضا التأثير.
- في السيكولوجيا والتحليل النفسي: ثمة ترابط بين السلوك والاتصال، فالاتصال يهم على الأقل شخصين: الفاعل والمرسل إليه، حيث تجري الأدوار بالتناوب، فالاتصالات تستعمل كل الوسائل المادية والمهم هو الهدف أي نقل المعنى، فتأثيرات الاتصالات قد تكون رمزية، والسلوك الاجتماعي أحيانا هو كناية عن اتصالات بالنسبة للآخرين، فالفعل Communiquer يعني جعل الأمر مشتركا Commun.

**2/تعريف الإعلام Information:**

- تعريف بروس بمبر (Bruce Bimber): في كتابه "الديمقراطية الأمريكية وثورة المعلومات" يستقي بروس تعريفا حديثا للإعلام من قاموس (Oxford English Dictionary) وهو: "معرفة نقلت تتعلق بحقيقة معينة، أو موضوع أو حدث".
- _أما Yves François le coadic إيف فرانسوا لوكواديك: في كتابه علم الإعلام (La science de l'information)، يقول أن: "الإعلام هو معرفة حاصلة بصورة مكتوبة (مطبوعة أو رقمية) شفاهية أو سمعية بصرية".
- على الصعيد البحثي: يمكننا مقاربة الإعلام على أنه ينتمي إلى النظام الاقتصادي وفقا للمخطط الكلاسيكي: إنتاج (Production)، توزيع (Distribution)، استهلاك (Consommation)، وما يحدث في الحقل الإعلامي _الاتصالي هو تشابه في الظواهر وليس في المفاهيم.

ففي الإعلام نتحدث عن إنشاء (Communication) معلومات ومعارف أكثر مما نتكلم عن إنتاج مميزين بين منافع ثقافية أو مادية، ونستعمل كلمة "اتصال" مكان " توزيع" وكلمة "استخدام" مكان "استهلاك".

**3/أوجه الاتصال والانفصال بين الإعلام والاتصال:** بخصوص مسألة الاتصال والانفصال بين المجالين (الإعلام والاتصال)، نجد أن عناصر الاتصال (أي الاتصال بين المجالين) تكشف عنها صيغة التداخل والتقاطع في الدلالة الأصلية لكلمتي "إعلام" و"إتصال" فكل إعلام هو بالضرورة فعل اتصالي. في المقابل نجد أن كلّ فعل اتصالي يحتمل أن يكون فعلا إعلامياً، كما يحتمل أن يكون غير ذلك، وتشترك جميع الألسن أو تقترب من التسليم بهذا المقصد. لقد وضّح روبار اسكاربيت (Robert Escarpit) هذا المستوى من التداخل في نقده لنموذج شانون الرياضي وللنماذج الخطية بشكل عام، إذ اعتبر ما يحدث في الإعلام إنّما هو ضرب من ضروب التواصل بحيث يظلّ الإعلام في هذه الحالة

وفي كلّ طور من أطواره شكلا من أشكال الاتصال بينما يظلّ الاتصال من الناحية الوسائطية وفي جزء منه نمطا من الإعلام أي أن اسكاربيت يرفض التجزئة بين المجالين ويحرص على عدم الفصل بينهما.

وأما وجه الانفصال فيتضح في مستوى الدلالة التبعيّة لكلمتي "إعلام" و"اتصال" لأن كلمة إعلام Information تعني في أدبيات الاتصال الفرنسية مجالا بعينه، حددّه فرناند تيرو (Fernand Terrou) وبيار ألبار (Pierre Albert) ضمن بنية ثلاثية متماسكة مؤلفة من مؤسسات البث الإعلامي من جهة، وأجهزة الإعلام ومعداته المستخدمة في الانتاج والبث والنقل والتوزيع من جهة ثانية وأخيرا الانتاج الإعلامي في حد ذاته.

أما في الأدبيات الانجليزية فتفيد كلمة "إعلام" المعنى نفسه مع تغيّر المسمّى الذي ظلت تختزله كلمة "Mass Media"، وهذا يعني أن الإعلام كفعل اتصالي، هو عملية تقتصر على النقل والإبلاغ، بينما تحيل كلمة اتصال إلى معاني أكثر شمولية من المعاني المقصودة في كلمة اعلام. https://www.editions-ellipses.fr/PDF/9782340037915_extrait.pdf

**4/التناهج**[1] **L'interdisciplinarité:** يتفق أغلب الدارسون والباحثون في مجال الإعلام والاتصال على أن هذا المجال لا يمثل علمًا بذاته إنما يجوز اعتباره مجال بحث مفتوح، تأسس في التقاء علوم عديدة، نذكر منها السيبرنتيك Cybernetic، والرياضيات والفيزياء وعلم الاجتماع، وعلم النفس الاجتماعي، واللسانيات. يحصي دومينيك فولتون (Wolton) ما لا يقلّ عن عشرة علوم يراها مكونّات أساسية لعلوم الإعلام والاتصال، ويورد الانثربولوجيا ، والفلسفة والتاريخ والعلوم السياسية، والعلوم القانونية، وعلم الاجتماع، وعلم النفس، والاقتصاد، وعلم النفس الاجتماعي، واللّسانيات. فيليب بروتون (Breton) وسيرج بروكس (Proulx) يعتبران السيبرنتيك هي "البيغ بانغ" الذي جذّر الاعتقاد بوجود علم شامل مستقل يمتلك نظرية كلية، خصوصا على مستوى البناء الابستمولوجي، لأن السيبرنتيك بوصفه علما للاتصال والتحكم في الأنظمة الآلية والإنسانية والحيوانية، كان وراء عملية التناهج بين العلوم من ناحية، وتراصف النظريات الاتصالية في مجال علوم الإعلام والاتصال من ناحية ثانية.

[1] اقتباس أو استخدام مفاهيم أو نظريات أو معطيات أو مناهج من علم معين في علم آخر كما هي الحال في علم الفيزياء الذي يستخدم الرياضيات أو علم الاجتماع الذي يستخدم علوم الإحصاء أو علم النفس الذي يفيد من معطيات العلوم البيولوجية ونتائجها. أو بمعنى آخر هو حصول اندماج أو تأليف أو تكامل من نوع شامل أو عميق بين المناهج والمعطيات والنظريات في التخصصات المختلفة.

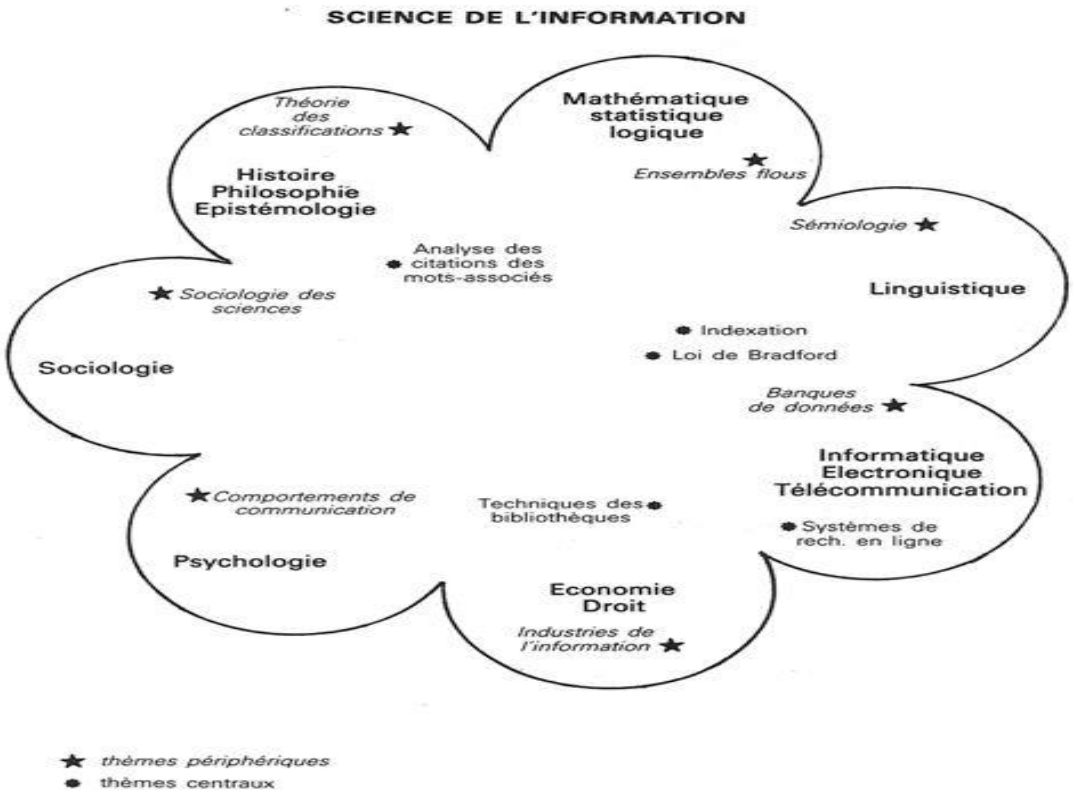


**5/التجربة الفرنسية في تأسيس علوم الاعلام والاتصال:** إن تجربة التأسيس الأولى لعلوم الإعلام والاتصال في فرنسا، انطلقت من جامعة بوردو Université de bordeaux عندما جمع روبار اسكاربيت حوله مجموعة من الباحثين والدّارسين المنتمين إلى حقول علمية مختلفة، لتكوين هيئة علمية للاتصال. وقد تألّفت اللّجنة من آن ماري لولان (Laulan A.M) من علم الاجتماع، وأندري جون توداسك (Andre Jean Tudesq) متخصص في تاريخ الصحافة، وجون ميريات (Jean Meyriat) متخصص في تاريخ الإعلام والتوثيق، ورولان بارث (Roland Barthes) متخصص في السيميولوجيا، وكيمادا (Quemada) متخصص في اللّسانيات، وروبين (Elie Roubine) متخصص في الفيزياء. وقد بدأ الاهتمام بتزايد دور هذه الهيئة التي لم يكن لها هدف علمي دقيق بقدر ما كان حرص أعضائها موجها نحو تعميق الحوار حول مجال بحث جديد، الفلاسفة والجامعيين كانو يتابعون من قريب نشاط الهيئة، هكذا بدأ يتأسس لعلوم الإعلام والاتصال إطار مؤسسي وأكاديمي في الآن نفسه.

**لمزيد من المعلومات يرجى الإطلاع على المرجع التالي:** الحيدري، عبد الله الزين ، **الوضعية الابستمولوجية لعلوم الإعلام والاتصال**، المجلة العربية للإعلام والاتصال، ع17، ماي 2018.